أسطورة النسر في الموروث الثقافي والأسطوري

نود أن نقر منذ البداية بان عالم الطير يمثل بنية ثقافية ومعرفية وخيالية أساسية فى الموروث الثقافى العربى بل فى جميع الثقافات العالمية، ولعلنا لو تأملنا عالم الأمثال العربية لوجدنا لدينا موروثا ثقافيا هائلا يعكف على عالم الطير وحده، وهذا الموروث الثقافي لأمثال الطير تمثل عالما من أطرف عوالم لغتنا الجميلة، وكل اللغات الأخرى، وأغناها بنوادر المعارف والمعاني والحكم والعبر، فهي الجنى المصفى للخبرة والتجربة الإنسانية في المجتمع مع الكائنات الحية من البشر والحيوان والنبات، ومع جمادات الطبيعة وظواهرها. وهي فوق ذلك كله آيات محكمات البناء من جمال البلاغة، والإيجاز الجامع، أو كما يقال: « مما قل ودل ».فالأمثال تعد من العناصر الأساسية للحصيلة الثقافية واللغوية، التي تميز المرء من أقرانه، وتعرف بثقافة اللسان. ولعل هذا أيضا ما جعلها تحظى بمكانة جليلة من التقدير، وبنصيب وافر من التراث المأثور بل إننا لا نبتعد عن الصدق إذا قلنا: « الأمثال ديوان العرب »، أو « الأمثال حكمة العرب »، تماما كما نقول حقا: « الشعر ديوان العرب ». إن هناك حشد من الأمثال ، مستلهم من الطير بعامة، أو من طائر بعينه، كالنسر والعقاب، والبازي، والغراب، والقطاة، والحبارى، والحمامة، والبومة، والنعامة، والدجاجة، والديك، والعصفور والبلبل، والنورس... الخ، وكلها أمثال تدل على دقة ملاحظة، ونفاذ بصيرة، وعمق خبرة، وبلاغة تعبير، ودون الدخول فى تفاصيل ذلك نود أن نقر أيضا بان عالم النسر يقع فى العمق من هذه الأمثال المأثورة فى تراثنا الثقافى العربى، فإذا توجهنا إلى الموروث الأسطورى لدينا وجدناه لا يقل ثراء وغنى عن أمثال الطير إن لم يفها خصوبة، فلدينا أساطير عدة عن النسور تنتظر من يكشف عنها أسدال الإهمال، كما يجب أن نقر أيضا بان أسطورة النسر ميراث عربى أصيل، بقدر ما هى ميراث إنسانى عتيد، فقد كان العرب القدامى أصحاب وجود ميثولوجى خصيب مترع

بالخرافات والاعتقادات والطقوس، على عكس ما تصور بعض المفكرين والنقاد العرب المعاصرين، بل وصل التصور الميثولوجي العربي - فيما نرى - في وعي العربي القديم مقام التصور الكلي الشامل المتسق، نرى ذلك مثلا عندما نعالج رمزية الناقة والفرس والمطر والنخيل في الخطاب الشعري العربي القديم، وقد قدم الدكتور إسماعيل أحمد العالم دراسة قيمة حول((من مواطن ورود النخلة في الشعر الجاهلي)) نقض فيها جماليا ((ما تصوره بعض الدارسين من أن الشاعر الجاهلي كان يستوعب جزئيات الوجود متناثرة ترى الطبيعة وحدات متناثرة منفصلة، وهذا يجعل الشاعر الجاهلي مختل التفكير ضعيف الربط جزئي النظرة، لا ينظر إلى الكون بشمولية ولا يحس الحياة بوحدة وتكامل، لأنه بدوي بسيط ينظر إلى الحياة بانفصال تام، والطبيعة أمامه وحدات متناثرة مفصلة فيها الجبل والكثيب والمرعى والحيوان والنبات والإنسان ومن ثم لم يتعمق أسرار الوجود، لكن بحثنا يثبت هنا أن الشعر الجاهلي قد استوعب جزئيات الوجود المتناثرة واستخلص منها معاني كلية وأفكارا موحدة تصهرها وتجعلها كيانا موحدا منسقا منظما))[٣٧]،فلم تكن رؤى العربي القديم جزئية مشتتة، ولا حسية فجة، جديبة الأخيلة والمعتقدات، فليس العرب بدعا بين الشعوب حتى لا يكون لهم عقليتهم الأسطورية الأولى الخاصة بهم مثلهم مثل جميع شعوب الأرض: ((ونعجب بعد هذا كله أن يقول أغلب الدارسين عن العرب لم يعرفوا الأساطير ويستندون في ذلك إلى الزعم أنهم لم يكونوا من أصحاب الملكات الخلاقة التي تعتمد الخيال الواسع، مع أن مراجعة عاجلة في كتاب النقائق تبين لنا أنهم لم يكونوا ينقصهم شيء مما حفلت به أساطير الإغريق))[٣٨]،إن ماذهب إليه أحمد كمال زكي يقره شفيق معلوف في ديوانه(عبقر) عندما يقرر بأن ما وصلنا من أساطير العرب غير القليل وهو على قلته مشوه مبتور لكن فاروق خورشيد يقيم بناء متسقا لأديب

للأسطورة عند العرب، ويطوف بنا تطوافا علميا موسعا وموثقا فى العقل الميثولوجى العربى القديم فى دراسته المتعة الموسومة بـ((أديب الأسطورة عن العرب)) وقد نختلف مع الأستاذ فاروق خورشيد أو مع غيره من المفكرين والنقاد حول بعض الأصول الأولى، ولكننا لا نختلف على وجود مثل هذه الأصول لدى العرب ولدى جميع الشعوب والأجناس، فثمة وحدة روحية وعقلية تجمع بين الوجدانات البشرية، وإن تجلت هذه الوحدة بأشكال أسطورية مختلفة، وفى تصورات ميثولوجية متعددة، ولعلنا لو رجعنا إلى كتاب الدكتور جواد على ((المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام))[٣٩] فى الجزء السادس، نتحقق من حقيقة الثراء الميثولوجى للأسطورة عند العرب، وكتاب الدكتور جواد على فى غاية الأهمية ولم يأخذ ما يستحقه فى الأدبيات النقدية المعاصرة، ويكفينا أن نطلع على فصل كامل فى الجزء السادس من كتابه بعنوان:((أوابد العرب))ونرى مدى الثراء المذهل فى المعجم العقلى الأسطورى لدى العربى القديم فى الكهانة والشيطان والعراف والرئى والحيوانات إلى آخر هذه التصورات التى يموج بها هذا الكتاب المهم، وأرجو أن تلتفت وزارة الثقافة إلى ضرورة إعادة طبعه فى سلاسلها الكثيرة الممتازة فى مصر. ولقد كانت دواوين الحماسة الشعرية العربية منبعا مهما للعقلية العربية الخرافية والتى تجلت عبر بنية الشعر الذى اختاره معظم مؤلفى الحماسات الشعرية العربية، يقول الدكتور عبد البديع عراق فى دراسته عن دواوين الحماسة : ((ومن الظواهر الاجتماعية التي تقدمها لنا أشعار دواوين الحماسة عن الحياة الاجتماعية العربية ، ظاهرة الإيمان بالخرافات والتحدث عن الهامة ، والغول ، والنجوم والكواكب ، والطير وما تحمله من سعود ونحوس ، التحدث عن السحر وما يفعله بهم وبما يملكون ، أو أن للشاعر منهم جني يستعين به في الشعر وغيره . فمنها رؤاه

أبو تمام (١٤٤) والبحتري (١٤٥) لكبشه أخت عمرو ابن معدي كرب تقول في رواية أبي تمام (من الطويل):

رســـل عبد الله إذ حان يومـــه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي[١٤٦]
ولا تأخذوا منهم أفالا وأبكروا لاو أترك في بيت بصعدة مظلم

يقول المرزوقي في شرحه (١٤٧) : " لا تتركوا من قتلي صغار الإبل وبكارتها فتتركوني في قبر مظلم بصعدة ، وهو مكان باليمن ، وإنما جعل قبره هكذا ، لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ناروا به أضاء قبره ، فان أهدر دمه أو قبلت ديته بقى قبره مظلما " . ومنها ما رواه أبو تمام في الوحشيات (١٤٨) وفيه ذكر السعود والنحوس وهو لعبد هند بن زيد النغلبي (من الطويل) :

فسيروا بقلب العقرب الآن إنه سواء عليه بالنحوس وبالسعد .

وما رواه فيها لمجهول (١٤٩) (من مجزؤ الكامل) :

لا يمنعنـــك مـــن بغـــاء الخيـــر تعقـــاد التمـــائم
ولا التشـــاؤم بالعطـــاس ولا التـــيمن بالمقاســـم
ولقد غـــدوت وكنـــت لا أغـــدو علـــى واق وحـــاتم
فـــإذا الأشــــــائم كالأيـــامن والأيـــامن كالأشـــائم
وكذاك لا خـــير ولا شـــر علـــى أحـــد بدائـــم

واختار البحتري (١٥٠) بابا كاملا في حماسته - هو الباب التاسع والعشرون في المائة - بعنوان " فيما قيل في تعاقب السعود والنحوس على المرء " وأوله للأفوه الأودي (من السريع) .

المرء ما نصلح له ليلة بالسعد تفسره ليالي النحوس .

وروى ابن الشجري (١٥١) للعلاء بن قرظه (خال الفرزدق الشاعر) وفيه ذكر زجر الطير وذهابها يمينا للسعد وشمالا للنحس كما كانوا يعتقدون ، فهو يقول (من الطويل) :

أتوعد بكرا بالحروب سفاهة وأن تلق بكرا تزدجر طير أشأم

وروى العبد الكاني الزوزني (١٥٢) لرجل من خراسان يتحدث عن الأفلاك والنجوم والنحوس ، يقول (من الطويل):

إذا دارت الأفلاك فينا بنحسها كشفنا بحد المشرفي نحوسها وإن حكمت بالبؤس شهب نجومها فإن قضيب السيف ينعم بؤسها .

وعن شيطان الشعراء روى الزوزني (١٥٣) لأبي النجم العجلي (من مشطور الرجز) :

إني وكل شاعر من البشر

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

فما رآني شاعر إلا استتر

فعل نجوم الليل عاين القمر

وروى أبو تمام (١٥٤) في نحوه لموسى بن جابر (من الطويل):

فما نفرت جني ولا فل مبروي ولا أصبحت طيري من الخوف وقعا.

وقال المرزوقي في شرح البيت : " ويجوز أن يشير بالجن إلى ما يدعيه الشعراء من أن لكل واحد منهم تابعا من الجن يستعين به فيما يحزبه " . ونورد عن ذكر السحر ما رواه أبو تمام (١٥٥) لأبي عطاء السندي (من الطويل) :

ذكرتك والخطا يخطر بيننا		وقد نهلت منا المثقفة السمر
فو الله ما أدري وأني لصادق		أداء عراني من حبابك أم سحر

فان كان سحرا فاعذريني على الهوى وان كان داء غيره فلك العذر، ونجد عند البصري أمثلة من هذه كثيرة لكنه انفرد عن أصحاب الحماسات - المعروفة لدينا - أنه خصص في باب الملح جزءا خاصا سماه " ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم " واختار له إحدى عشرة حماسية (١٥٦) تحدثت عن هذا الموضوع . وكان يذكر الخرافة مع الشعر. فمن ذلك اعتقادهم بوجود الغول . واختار حولها حماسيتين ، رقم (١٥٨٣) " لأبي البلاد الطهوي واسمه بشر بن العلاء بن حنيف " ورقم (١٥٨٤) " لعبيد ابن أيوب بن ضرار العنبري " . وذكر أنهم كانوا يعتقدون أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة ماتت وأنها إذا ضربت ضربة أخرى عادت لها الحياة. وغير ذلك من الخرافات التي سنأتي على ذكرها في مكان آخر من هذا البحث)) .

فإذا انقلنا من العوالم المتعددة للأسطورة العربية إلى أسطورة محددة منها ولتكن أسطورة النسر كان علينا أن نتذكر فى البداية هنا ما قاله الدكتور مصطفى ناصف من أن:((أن الطير عامة يستوعب في خيال العربي طاقات وتصورات وقدرات كثيرة ، فهو يستوعب شخصية الإنسان، ويستوعب مصيره ، ويستوعب كل تجليات الروح القلقة المهمومة بوجودها، نعم هذا واضح في التراث ، ومن حق النصوص أن يغذو بعضها بعضا[٤٢] ، وجريا على ما يراه مصطفى ناصف نود أن نقول أيضا بأن التراث أيضا يغذو بعضه بعضا، فهناك وحدة فى النصوص التراثية تؤكدها وحدة العقل والوجدان العربى الذى أنتجه، ولا نقصد أى معنى ضيق كليل من وراء هذه الوحدة، فهى وحدة تعددية مترامية، فهناك التراث الفلكلورى والدينى والشعبى والخرافى والأسطورى واللغوى إلى آخر بنى التراث المتعددة التى تكون فى النهاية جوانب متعددة متلاحمة من العقل والوجدان الميثولوجى العربى، ولعلنا نطلع على بعض جوانب هذا العقل فى التفسير الفلكلورى للأحلام عند العرب وعلاقتها بالطير عامة

فقد رأى الدميرى ((أنه قد روى بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير أنه قال ((" لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر، وكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده، فلما رأى النسر آدم عليه السلام أتى الحوت وقال: يا حوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشي على رجليه ويبطش بيديه، فقال الحوت: لئن كنت صادقا فمالي منجىً منه في البحر، ومالك مخلص منه في البر...... والنسر طائر معروف وجمعه في القلة أنسر، وفي الكثرة نسور، وكنيته : أبو الأبرد وأبو الإصبع وأبو مالك وأبو المنهال وأبو يحيى والأنثى يقال لها أم قشعم، وسمي نسرا لأنه ينسر الشئ ويبتلعه ، وهو عريف الطير ويقول في صياحه: ابن آدم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك، كذا قاله الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وقد روى اليافعي في كتاب ((نفحات الأزهار ولمحات الأنوار) عن علي ابن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: سمعت حبيبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول "((هبط علي جبريل فقال: يا محمد إن لكل شئ سيدا فسيد البشر آدم ، وسيد ولد آدم أنت، وسيد الروم صهيب، وسيد فارس سليمان، وسيد الحبش بلال، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر، وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربية، وسيد العربية القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة))[٤٣] .

وقد تمتع النسر بمكانة أثيرة فى الفلكلور الشعبى الخاص بأدبيات الأحلام التى تمثل بنية تراثية جوهرية فى الحس الشعبى العربى، فقد ورد عن الدميرى في تفسير رؤيا من يرى النسر أن ((من رأى نسرا نازعه فإن سلطانا يغضب عليه ويوكل به ظالما لأن سليمان عليه السلام وكل النسر على الطير فكانت تخافه، ومن ملك نسرا مطاعا أصاب ملكا عظيما، ومن ملك نسرا فطار به وهو لا يخافه فإنه يعلو أمره ويصير جبارا عنيدا، ومن أصاب فرخ نسر ولد له ولد يكون عظيما هاديا فإن رأى ذلك نهارا فإنه يمرض فإن خدشه ذلك الفرخ طال مرضه، ورؤية النسر المذبوح تدل على موت ملك من الملوك، ومن رأى النسر من النساء الحوامل فإنها المراضع والدايات. وقالت

اليهود: النسر يفسر بالأنبياء والصالحين لأن في التوراة شبه الصالحين بالنسر الذي يعرف وطنه ويرفرف على فراخه ويزقها.وقال إبراهيم الكرماني: النسر يعبر بأكبر الملوك لأن الله تعالى خلق ملكا على صورته، وهو موكل بأرزاق الطير، وقال : من رأى نسرا أو سمع صياحه خاصم إنسانا، وقيل أيضا: إذا جعل قلب النسر في جلد ذئب وعلق على إنسان كان محبوبا مهابا مقضي الحاجة عند السلطان وغيره ولا يضره سبع أبدا، وإن عسر وضع امرأة فوضع تحتها ريشة من ريشه أسرعت الولادة، وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وعلق على من يخدم الملوك والسلاطين أمن غضبهم وكان محبوبا عندهم، وعظم فخذه الأيسر إن علق على من به سحر قديم نفعه وأبرأه وعقب ساقه إن علق من به النقرس أبرأه، الأيمن للأيمن والأيسر للأيسر، وإن دخن ريشة من ريشه في بيت فيه هوان طردها ولم يبق فيه شئ منها، وكبده إذا شويت واحترقت وشربت نفعت منفعة عظيمة، وإن أخذ بيضه وضرب بعضه ببعض حتى يختلط ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوي قوة عجيبة، ومرارته تنفع من الماء النازل في العين، إذا اكتحل بها سبع مرات بماء بارد وطلا بها حول العين، وإذا علق فكه الأعلى على عنق الإنسان في خرقه لم يقربه شئ من الهوام))[٤٤] .

وليس من شك في أن الطيور بصفة خاصة قد احتلت مكانا فسيحا في عالم الأسطورة، ابتداء من اعتقاد كثير من المجتمعات الأولى بأن روح الميت تتحول إلى طائر يظل صائحا بين الأحياء متخذا أسماء عدة بحسب طبيعة تلك التي ظهرت فيها هذه المعتقدات، فقد كان يدعى عند البابليين والأشوريين بـ (الأطمون ويسمى عند المصريين كا)) ولنا أن نعرف ما علله القدماء بخصوص السانح والبارح، حيث زجرت العرب على السانح وتبركت به، وكرهت البارح وتشاءمت به، وهناك آراء كثيرة بخصوص ذلك نجدها لدى المبرد وابن قتيبه والجاحظ، وقد أثبت جواد علي في (المفصل في تاريخ العرب) كثيرا من هذه التصورات، وقد رصدت الدكتورة ابتسام الصفار جميع هذا في دراستها عن (الطير والفأل في موروثنا العربي)[٤٥] كما تناول ذلك

أيضا الباحث العراقى الدكتور أحمد إسماعيل النعيمى فى كتابه((الأسطورة فى الشعر العربى قبل الإسلام))[٤٦] وقد اتسع فى حديثه عن البومة والصدى والهامة والنسر والأفعى والهدهد إلى آخر ألوان الطيور والحيوانات الأسطورية وعلاقة جميع ذلك بالفأل والتطير والزجر والعيافة عند العرب القدامى، وكل ذلك يدل أن الطير بصفه عامة في موروثنا الشعبي واللغوي والأسطوري لا يمكن فصله عن عالم الغيبيات والقوى الخفية، التى كانت تتحكم فى المصائر الفردية والجمعية لدى العربي القديم، ولعل المتأمل في القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية يتأكد من هذا.

وكان النسر فى المعتقد الدينى للعراق القديم ((" من الطيور التي حظيت بنصيب وافر من الأساطير إذ اتخذه الكهان والعرافون في حضارة وادي الرافدين القديمة أحد الفؤل التي تعينهم على التنبؤ فكانوا يقولون: ((" إذا مر نسر من جانب الملك الأيمن إلى الأيسر فإن الملك سوف يفتقر أينما ذهب، وإذا أمسك نسر بسمكه أو طير وحلق بها بعيدا ثم افترسها أمام رجل، فإن الأخير سوف يتعرض لخسارة، وإذا أكل نسر حمامة فوق سقف رجل ثم ترك منها شيئا، فإن صاحب الدار سوف يزداد ثراء))[٤٧]، كما ورد ذكر النسر في أسطورة (إيثانا) التي خلاصتها أن النسر والثعبان يقسمان إيمان الصداقة المقدسة، لكن النسر يضمر الشر في قلبه، ويخبث بقسمه، بابتلاعه أطفال الثعبان الذي شكاه إلى الإله (شماش)"((ليأخذ له الثأر، فتدبر له مكيدة فيقع في فخ ويكسر جناحاه ثم يدفن في حفرة تحت الأرض ، حتى يخلص الملك (إيثانا) لكي يطيره إلى السماء بحثا عن بنات النسل))[٤٨] ، ونرى ذات القصة الأسطورية بين أنكيدو وجلجامش اللذين أدركا معا أن الموت لا ينجو أحد منه ، ونرى ذلك القران بين الشمس والخلود والإله((شمش)) ولعله له علقة قوية بالإله السابق ((شماش))، نلحظ ذلك فى قول جاجامش مخاطبا أنكيدو ليقنعه بواجب المغامرة والدخول إلى الغابة لقتال خمبابا المارد الشرير:فحين قال أنكيدو:

كيــف نــدخل غابــة الأرز ياجلجــامش

وإن حارسها مقاتل وهــو قــوى لا ينــام

رد عليه جلجامش:-

ياصديقى ، من ذا الذى يستطيع أن يرقى إلى الســماء

فالآلهة وحدهم الذين يعيشون إلى الأبد مــع((شــمش))

أمـــــا البشـــــر فأيــــامهم معــــــدودات)[49]

إن شكوى الثعبان النسر إلى الإله ((شماش)) السابق يتناص وأ، ولها جلجامش فى شكواه لأنكيدو ضد مارد الشر جمبايا، وربما يكون النسر الإله فى الأسطورتين هو القادر على إنقاذ الروح من هشاشة الفناء إلى صلابة الخلود.((إن ارتباط النسر بالقوة فى الأزمنة القديمة مسألة بارز، ولهاا شواهد عدة، أهمها اتخاذ العظام له شعارا أو رمز لقوتهم وعظمتم. فقد ورد أن سليمان الحكيم جعل النسر عريقا للطير كما يحكى الدميري فى حياة الحيوان الكبرى، وان كرسي سليمان كان محفوظا بأربع نخلات يعلو اثنتين منهما((نسران ذهبيان))(جون،١٣٦،١٩٨٠)) وقد كان النسر أو الصقر يرأس شعار القوة والملك عند البابليين القدامى،كما أبرزته مسلة العقبان وغيرها مـن الألـواح والمسلات((مظلـوم- ١٩٨٥- ٣٧- ٣٩)) وتمثال سنطروق،الذى حكم العراق القديم فى حدود ١٧٠ . ١٩٠ ميلادى، والذى وصف بأنه ملك العرب بن نصر ومريا،كان يعلو رأسه تاج محلى بنسر ناشر الجناحين،ولعل هذا يفسر لنا إلحاح بعض النماذج الشعرية السابقة على تشبيه لواء الجيش بالنسر يتقلب فى الجو، والنسر كما نعلم صنم من أصنام الجاهليين))[50]كما يرى الأبشيهى فى مستطرفه ((أن نسرا كان إله عربى قديم)[51] .

لكن الشهرة ذات المضمون الأسطوري جاءت للنسر من " (لقمان عاد)" وهو غير لقمان الحكيم الذي ذكر القرآن مواعظه لابنه فضلا عن السورة القرآنية التي تحمل

اسمه، وقد جاء عن عبيد بن شريه ضمن ((كتاب التيجان)) لوهب بن منبِّه أن " نودي لقمان أن قد أعطيت ما سألت، ولا سبيل إلى الخلود فاختر إن شئت بقاء سبع بعرات من ظيبات لمعز في جبل وعر لا يمسها قط، وإن شئت بقاء سبعة أنسر سحر كلما هلك نسر أعقبه نسر فكان اختيار بقاء النسور فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة... هكذا حتى هلك منها ستة، فسمى السابع لبدا، فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران، كان يقول له لقمان: انهض لبد، فلما هلك لبد مات لقمان))[٥٢]، ولنلاحظ هنا الإحكام الإيقاعي للسجع فى الجمل السابقة، وعلاقته بالكهانة والسحر الكامن فى بنية اللغة نفسها، وكأن اللغة في ذاتها فعلا من أفعال الوجود، وكان النسر السابع " لبد " الذي طبقت شهرته الآفاق، وصار يضرب بها مثلا على طول العمر والفناء معا، حتى قالت العرب " إذ أتى أبد على لبد " و" أعمر من لبد " وهي صيغ رددها الشعراء العرب القدامى سواء لدى النابغة الذبياني وذى الأصبع العدواني وطرفة بن العبد في سياقات شعرية مختلفة، فقد قال لبيد ابن أبى ربيعة:

لما رأى صبح سواد خليله ... من بين قائم سيفه والمحمل
صبحن صبحا يوم حق حذاره ... فأصاب صبحا قائما لم يعقل
فالتف منقصفا وأضحى نجمه ... بين التراب وبين حنو الكلكل
ولقد جرى لبد فأدرك جريه ... ريب الزمان وكان غير مثقل
لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نفعه ... ولقدرأى لقمان أن لايأتل[٥٣]

ويقول ذو الإصبع العدواني :-

أو لم ترى لقمان أهلكه ... ما اقتات من سنة ومن شهر
وبقاء نسر كلما انقرضت ... أيامه عادت إلى نسر
ما طال من أمد على لبد ... رجعت محورته إلى قصر[٥٤]

وقال النابغة الذبيانى فى استحالة نيل الخلود مشبها بالنسر(لبد):-

أضحت خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد-

والصور الشعرية المتعددة لورود النسر لدى لبيد أو طرفة أوالنابغة، تؤكد جميعها استحالة نيل الخلود مهما طال الزمن، وهي صورة تذكرنا من طرف خفى ببرومثيوس خاطف النار من اللآلهة للإنسان لنيل الخلود فى الأسطورة القديمة، وربما كانت هناك علائق خفية عديدة بين صورة الطيران والعلو والتسامي فى الخيال الميثولوجى الإنسانى القديم، وبين طيران النسور وتعاليها، وطيران برومثيوس إلى النار لسرقتها، ولعل هذا التصور الذى نقترحه هنا يقربنا منه ما تصوره (هيلين لجندر دى كونينك) في دراسته المهمة حول (الفضاء والضوء والشمس: أشكال من الطيران)[٥٥]، وهناك أسطورية " نسر مراد " وقد أوردها هنا السيوطي في مزهرة في علوم اللغة، وخلاصة الأسطورة أن قبيلة مراد ((" كانت تعبد نسرا، فيأتيها كل عام، فيضطربون له خباء ويقرعون بين فتياتهم فأيتهن أصابتها القرعة أخرجوها إلى النسر فأدخلوها الخباء معه فيمزقها ويأكله، ويؤتى بخمر فيشربه، ثم يخبرهم بما يصنعون في عامهم ويطير، ثم يأتيهم في عام قابل فيصفون له مثل ذلك))[٥٦]، ثم حاول المراديون أن يضحوا ببنات غيرهم فقدموا بنتا لامرأة من همدان تحت أحد رجالهم، ووافق ذلك قدوم خالها، فأخبرته أخته بما صنع المراديون وأنشد يقول:

أتتني مراد عامها عن فتاتها
وتهدى إلى نسر كريمة حاشد

تزف إليه كالعروس وخالها
فتى حي همدان عميد بن خالد

فإن تنم الخود التي فديت بها
فما ليل من تهدي لنسر براقد[٥٧]

وقد جاء في الدراسة القيمة التى كتبها الباحث العراقى الدكتور سامى سعيد الأحمد فى مجلة التراث الشعبى العراقية عن((رمز من عالم الحيوان)) أن النسر كان : ((شعار الإله زيوس وأندرا الهندوسي ، وظهر على رايات مدينة الحضر في شمال العراق الغريب كشعارها الرسمي سواء مطويّ، أو مفتوح الجناحين وكذلك لمدينة تدمر- وفي المسيحية فان النسر حامل الكلمة-وتذكر الأسطورة اليونانية بأنه قد حط على عصا الإله زيوس وباض في حجره مكتشفا له خاتمة الذي فقده ومعطيا له سهامه- وكان النسر مصورا في رايات روما حيث مثل لهم السماء ورسول جوف- والنسر هو الطير (سيمورغ) في الأساطير الزرداشتيه الفارسية . وهو الذي سرق ثياب أفروديت كما تذكر أسطورة يونانية لمساعدة هرميس. والنسر في رأسين يصور قوة فشنو عند الهندوس ومحطم الأفاعي وهو طير الرخ عند العرب.وقد اتخذته مدينة لكش في جنوب العراق رمزا لها منذ العصر السومري القديم، وفي مصر القديمة هو رمز الإله حورس (الشمس المشرقة).وفي الهندوسية اتخذت البرافاتي شكل نسور.وعندما سرق الإله أندرا سلاح صواعق السماء وأمريتا المضيئة العذراء كان متنكرا على شكل نسر.وسقطت أمريتا من على ظهر النسر فتلقتها سمكة في نهر جامونا بالهند . ويجمع قبائل الهنود الحمر في شمال أميركا التراب الذي يتمرغل فيه النسر يعتقدون بأنه يشفي الحمى ويطرد الشرور.واعتقد اليونانيون القدامى أنه جاسوس الإله أبوللو وكان نسر الهوما وهو العقاب الكبير ذو اللحية عظيم القدر عند الفرس الذين اعتقدوا أن قاتله يموت خلال أربعين يوما. وهو لا يأكل إلا عظام حيوانات الموتى وجعلوا رؤيته طالع خير. ومنه اتخذت كلمة همايون (القوي، الملكي، المحظوظ). وتذكر الشاهنامة أن ملوك فارس كانوا يضعون على تيجانهم ريش نسر الهوما. والنسر رمز السمو والرفعة والروح والمبدأ الروحي.وفي اللغة الهيروغليفية فان الحرف أ (رمز له بالنسر) معناه دفء الحياة والأصل والنهار. ولما كان النسر يعيش في نور الشمس فاقترن مع النور والسماء والهواء والنار وحتى أنه طوبق مع الشمس ومع فكرة الذكر الذي يلقح

الأنثى ورمز كذلك إلى النبل والبطولة . وقرنته الشعوب القديمة مع آلهة القوة والحرب . وفي الهندوسية هو حامل شراب الهوما (السوما) من الإله أندرا ورمز الرعد والجهد الحربي . وفي الفن الشرقي يظهر دائما في نزاع،إما كالطير يمدوكون الذي يربط الوعل الأرضي والسماوي بذيلهما سوية.أو كاردوا يهاجم الأفعى.ورمز لدى قبائل هنود كولومبيا بجنوب أميركا إلى الصراع بين المبدأ السماوي والروحي مع الأرضي، وهو نفس المبدأ الذي يظهر في الفن الرومانتيكي.ورمز في سورية القديمة (وهو في ذراعين) إلى عبادة الشمس. والنسر عند الكثيرين هو الذي يقود الأرواح إلى الخلود واعتبر في المسيحية رسول من السماء، كما مثل طيران النسر الأدعية عند صعودها إلى السماء والاستجابة لها عند نزولها إلى الأرض. ويذكر القديس جيروم أن النسر رمز الصعود إلى السماء والدعاء . ونظرا لمقدرته على التحليق العالي بالجو (أعلى من كل طير) فقد رمز إلى الالوهيه. وهو رمز قوة الامبراطورية الرومانية وقطعانها الحربية . وإن النسر الحامل لفريسته يرمز إلى تقديم الأضاحي وانتصار القوى العليا . وأطلق عليه دانتي طير الله.وذكر أن النسر في العصور الوسطى يرمز إلى الفكر الشرير للمذنب والذي يدل عليه صور الرواق في سيلوس بنسور تمزق أرانب إربا إربا.ورمز إلى النسر أيضا إلى المنتصر والغنيمة.وفسرت رؤية النسر في الحلم (يدل على شيئين احدهما سلطان شريف ظالم مذكور، والثاني ابن رفيع ومن رأى صقرا يتبعه فقد غضب عليه رجل شجاع). والعقاب (رجل قوي صاحب حرب لا يأمنه قريب وبعيد وفرخه ولد شجاع... ومن رأى العقاب على سطح دار أو في عرصتها دلت الرؤيا على ملك الموت فان رأى عقابا وسقط على رأسه فانه يموت... ومن رأى عقابا ضربه بمخلبه أصابته شدة في نفسه وماله).والنسر (أقوى الطير وأرفعها في الطيران وأحدها بصرا وأطولها عمرا فمن رأى النسر عاصيا عليه غضب عليه السلطان... فان ملك نسرا مطواعا أصاب سلطانا عظيما يملك به الدنيا أو بعضها ... ومن أصاب من ريشه أو عظامه

أصاب مالا عظيما من ملك عظيم... وإن خدشه النسر طال مرضه ... ولحم النسر مال وولاية ومن تحول نسرا طال عمره...)[٥٨] .

فإذا انتقلنا إلى التراث المصرى الفرعونى القديم وجدنا (ريتشارد . هـ . ديكنسون)) يقدم فى كتابه ((قراءة الفن المصري) شرحا ضافيا لرمز"((نسر نرت)) .حيث يتداخل لديه الصقر والنسر مع أبيس في صرح معبد خوفو العصر البطلمي "ولقد استخدم النسر المصري *neo phron percnopterus* كحرف " أ " في الكتابة الهيروغلوفيه ... وكان هذا النسر مرتبطا بعدد من الآلهة الأنثوية وبخاصة الإلهة " نخبت " ربة " الكاب " في مصر العليا وحين نهضت " الكاب " إلى التميز والشهرة في تاريخ مبكر، اضطلعت " نخبت " بدور الإلهة القومية لمصر العليا، وصار النسر بهذا مخلوقا مرتبطا بالأنساب - وكان النسر الإله يقف فوق شن " حلقة "على جملة من " المتمردين " بينما تمسك علامة من أجل " الوحدة " وكأنما تقدمها لاسم (حورس) الملك المكتوب أمامها، كما صورت " نخبت " جنبا إلى جنب مع حية (الكوبرا) لمدينة " بوتو " في مصر السفلى، ويخدم الكائنان كشعارين للقطرين، وللنظام الملكي المقدس الذي وحدهما، كما يظهر النسر مع الحية مرة أخرى في " بنتي " أو " السيدتان " اسم الملك - أحد الأسماء الخمسة الرسمية التي اتخذها كل فرعون عند ارتقائه العرش - وهي صور توضع معا فوق جبينه أحيانا، وبسبب هذا الدور المتوازي لحية الكوبرا والنسر استطاع المعبودان أن يصبح أحدهما مُستوعبا في صورة الآخر، ويظهران معا أحيانا كحيتي كوبرا أو كنسرين ملكيين، كما كان النسر رمزا للإلهة " موت " التي عبدت في هيئة آدمية كقرينة للإلهة " أمون " في طيبة ولكنها رسمت كثيرا في شكل طائر والكلمة المصرية "*MWT* " موت المكتوبة مع الحرف الهيروغليفي للنسر تعني " الأم "... وهكذا جاء النسر يمثل عددا من الآلهة الإناث ذوات الشأن مثل إيزيس وحتحور كما استخدم في صورة عامة للآلهات غير محددة الهوية، وعلى الأرجح، ليس ثمة كائن آخر مصور في أوضاع رسمية كثيرة مختلفة في الفن المصري))[٥٩] .

لقد جاء النسر في الفن المصري القديم رمز متعدد السياقات والتصورات، فقد جاء تارة محلقا ، وتارة مقعيا، وجاء تعويذة، وجاء في صور جانبيه يحرس الملك، وجاء مصورا أسفل المعابد والأضرحة.كما جاء ملتحما ببعض صور الحيونات والطيور الأخرى ، وتعدد هذه السياقات الأسطورية يؤكد تعدد العوالم الروحية والشعورية والحسية والفكرية التى كان يسبح فيها النسر فى خيال الإنسان المصرى القديم، ولعلنا نطلع على صورة أخرى تشويقا وإمتاعا للنسر فى الفصل الخاص الذى أفرده الفريق فوزى المعلوف للنسر فى معجمه عن الحيوان منذ مئة عام بمجلة المقتطف المصرية إذ ساق فى الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين، عديدا من السياقات الأسطورية والشعرية والعلمية عن هذه الطائر الخلاق يقول فوزى المعلوف عن النسر هو : ((طائر من سباع الطير لكنه ليس من عتاقها أي من جوارحها لا يقع على الجيف وقلما يصيد، وهو أعظم من العقاب شرة نهم رغيب . له منسر طويل منعقف في طرفه فقط، ولا ريش له في رأسه وعنقه بل فيهما زغب أبيض وله برائل أي ريش مستدير بأسفل عنقه . ساقاه عاريتان ولا مخالب له بل أظفار ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته ها كما تفعل العقاب بمخالبها. والنسور أنواع كثيرة أشهرها الرخمة وسيأتي ذكرها وهذا الطائر الذي مر وصفه وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم إلى يومنا ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الأقصى إلى العراق ومن الشام شمالا إلى اليمن والسودان جنوبا ويسميه علم الحيوان *Gyps Fulvns* وهو *Vautour fauve* بالفرنسويه و *Vulture Griffon* بالانكليزية .وقد أخطأ كثيرون من المعربين والكتاب المحدثين في التمييز بين هذين الطائرين ولعل السبب في ذلك ترجمة التوراة فلفظة النسر في الكتاب المقدس يقابلها نشر بالعبرانية و *Aetos* باليونانية و *Aquila* باللاتينية و *Aigle* بالفرنسوية الخ . ولعلماء التوراة مباحث دقيقة في هذا الموضوع فالنسر يسمى *Gyps* باليونانية و *Vulture* باللاتينية والعقاب *Aetos* باليونانية و *Aquila* باللاتينية غير أن بعض اليونانيين ومنهم نقلة التوراة إلى اللغة اليونانية

توسعوا في لفظة *Aetos* وأطلقوها على هذين الطائرين دون تمييز بينهما وهي اللفظة المستعملة في ميخا ١:١٦ حيث قال ((وسعي قرعتك كالنسر))" وفي متى ٢٤:٢٨ في قوله ((" حيث تكون الجثة فهناك تجتمع النسور)) فاللفظة العربية في محلها في هاتين الآيتين يقابلها لفظة ((نشر)) العبرانية في الآية الأولى وأما اللفظة اليونانية فمن باب التوسع لان هذا الوصف لا ينطبق عليها بل على الطائر المسمى *Gyps* عندهم فالمسمى *Aetos* لا يقع على الجثث إلا فيما ندر ولا هو أقرع . وقد قيل إن العبرانيين والعرب توسعوا في لفظة النسر أيضا. أما كون العبرانيين فعلوا ذلك فلا أتعرض له والذي اعلمه أن العرب لم يفعلوا شيئا من هذا ((فالنسر والعقاب)) عندهم طائران مختلفان من عهد شعراء الجاهلية إلى يومنا هذا، والأول يسميه الإفرنج *Vultur* والثاني *aquila* كما. وقد نبه سافيني إلى هذا الخطأ في الترجمة منذ مئة عام تقريبا والمقتطف منذ خمس عشرة سنة (مجلد ١٨ صفحة ٦١٠) والأب انستاس الكرملي منذ ست سنوات (مجلة المشرق مجلد ٥ صفحة ٦٧٦) والترجمة خطأ في كثير من المعجمات التي بين أيدينا وهي خطأ في بادجر وصواب في لاين بقي على الآن أن أبين صحة الترجمة كما ذكرت فأقول :

أولا : لفظة *Aetos* اليونانية جاءت بمعنى العقاب العربية فهي كل مرتفع عال لم يطل كثيرا: مثل المسنم والقمة وهي الراية أيضا وهذان المعنيان من معاني العقاب العربية .

ثانيا : قالوا أبصر من عقاب وقال الإفرنج *Avoir des yeux d'aigle*.

ثالثا : قال العرب العقاب سيد الطيور وقال الإفرنج *L'aigle est le roi des oiseaux*.

رابعا : الفلكيون من العرب سموا العقاب من صور السماء ما يسميه الإفرنج *Aquila* .

أما ((النسران)) عند العرب وهما: النسر الطائر، والنسر الواقع، فهما خلاف العقاب ، فالأول كوكب في صورة العقاب، ويسميه الإفرنج *Altair* بلفظه العربي، والثاني كوكب في صورة الشلياق المسماة *Lyra* عند الإفرنج .

خامسا : يسمى الأنف الأقني عند الإفرنج *Aquiline* تشبيها له بمنسر العقاب، لأنه أكثر تعقفا من منقار النسر، وقد مر بنا أن العقاب تلقب بالشغواء واللخواء لتعقف منقارها .

سادسا : كانت العقاب راية قريش وراية صاحب الشريعة الإسلامية وفي قصة عنترة كانت راية بني عبس أيضا، ولم يذكر التاريخ فيما أعلمه أن صورة العقاب كانت مرسومة على هذه الرايات لكنها كانت مرسومة على رايات الفرس والرومان *Aquila* والفرنسويين في زمن الإمبراطوريتين *Aigle* ولم يسمع أن العرب أو غيرهم اتخذوا النسر راية لهم، لأنه من لئام الطير. والعقاب شعار بروسيا والنمسا وروسيا وغيرها والعقاب المزدوجة الرأس في شعار روسيا يسميها الفرس عقاب دوسر أي العقاب ذات الرأسين . وقول الجرائد نشان النسر الأسود أو الأحمر خطأ وصوابه نشان العقاب السوداء أو الحمراء. ولا ريب أن إمبراطور الألمان يأنف أن يكون النسر شعارا لملكته والعقاب لقب بهاء الدين قره قوش خادم صلاح الدين ومعنى قره قوش بالتركية عقاب (ابن خلكان) ويترجمونها *Aigle* بالفرنسوية فالعقاب عند العرب رمز البأس والقوة وهي كذلك عند الإفرنج .

سابعا : جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ما نصه ((" زعم صاحب المنطق (أي أرسطو) انه ليس شئ في الطير أجفى لفراخه من العقاب وأنه لا بد من أن يخرج واحدا وربما طردهن جميعا حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظام

فيتكفل به)). وقد أصاب الجاحظ في نسبته هذا القول إلى أرسطو كما يتبين لدى المراجعة (كتاب النعوت٦: ١:٦) فالعبارة منقولة بالحرف الواحد تقريبا واللفظة اليونانية التي عربت بالعقاب هي *Aetos* أي *Aquila* باللاتينية.

ثامنا : تطلق لفظة النسر في العراق والشام ومصر والسودان وبلاد العرب والمغرب في يومنا على هذا الطائر الأصلع الرأس الذي يسميه الإفرنج *Vultur* ولفظة العقاب على هذا الطائر الشبيه بالصقر أو البازي المسمى *Aquila* عند الإفرنج، وقد ذكر ذلك كثير من السياح وعلماء الحيوان مثل سافيني وبريس وترسترام وبرتون ودوطي وغيرهم أي كما سمعوا هاتين اللفظتين من أهالي البلاد التي مروا فيها، وهي الترجمة التي عول إليها كبار المستشرقين مثل لكارك في نقله مفردات ابن البيطار إلى اللغة الفرنسوية ولاين صاحب المعجم المشهور وجايكر مترجم (حياة الحيوان الكبرى) وقد نبه سافيني إلى كثرة الخطأ في ترجمة هذه اللفظة فقال ما تعريبه ((الطائر المسمى *Griffon* هو النسر المذكور في الدميري ويعرف بالنسر عند عامة المصريين وكانت لفظة النسر تترجم بلفظة *Aquila* غير أن الأعراب وعلماء الطبيعيات عند العرب يطلقونها على ما نسميه *Vautour*)) (وصف مصر مجلد ٢٣ صفحة ٢٣٦).

تاسعا : وصف النسر في كلام العرب والمؤلفات العربية ينطبق على ما نسميه نسرا في وقتنا الحاضر، وعلى ما يسميه الإفرنج *Vultur* ووصف العقاب ينطبق على ما نسميه عقابا ويسميه الإفرنج *Aquila*. قال ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة ((" خير السلاطين من أشبه بالنسر وحوله الجيف لا من أشبه الجيفة وحولها النسور)) وقال أيضا ((" النسر طائر ثقيل عظيم شره رغيب

نهم فإذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطيع الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطه مرارا ويسقط في ذلك فلا يزل يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحته الريح. . . وهو ليس ذي مخل وإنما له أظفار كأظفار الدجاج))[٦٠] .

وفي الدميري والقزويني شئ مثل هذا وبعضه منقول عن الجاحظ. وقد وصف بعضهم بياض رأس النسر في قوله:-

ورجعت من بعد الشباب وعصره شيخا أزب كأنه نسر

وقال النابغة يصف النسور خلف الجيش مشبها لها بالشيوخ:-

على أكتافها فراء من جلود الأرانب

تراهن خلف القوم خزرا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب الأرانب

ولا مرأة في قتيل تصف مشية النسور إليه:-

تمشي النسور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

وللمتنبي في وصف النسر:-

يفدي أتم الطير عمرا سلاحه نسور الفلا أحداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم

من المصطلح النقدي إلي المصطلح الشعرى

وبعد عرضنا للجهد النقدى فى الدراسات السابقة رأينا مدى تذبذب المصطلح النقدى العربى بين واقع الأسطورة وواقع الشعر، ومن هنا رأينا ألا نحرم انفسنا من فرصة الإفادة المنهجية الجدلية المتراوحة بين الجهود العربية للمصطلح النقدى والتطبيقى ، وبين الجهد النقدى الرصين الذى قدمه الخطاب النقدى الغربى المعاصر بخصوص النقد الأسطورى خاصة لدى الناقد الأمريكى نورثروب فراى الذى كان يرى فى الأسطورة مفتاحا لفهم النص الأدبى ، نكتشفه من داخله، وليس مجرد فرض خارجى مفروض عليه من الخارج، فالشعر مثل الأسطورة يستدعى بدوره خبرات جمالية ومعرفية عميقة ومتعددة، بعضها ضارب فى القدم، والآخر مغروس فى واقعه المحيط به ، أو مترامیا إلى الغد المستشرف المومض بظهر الغيب. إن أسطورية الأدب لا تحددها القصص الأسطورية التى راح معظم الدارسين العرب يبحثون عنها فى النص، بل تحددها الصور الشعرية النمطية المكررة لدى ثلة من الشعراء ينتمون إلى سياق ثقافى واحد، فالشعر كما يرى فراى ((لا يتشكل إلا من خلال قصائد أخرى، والأدب يشكل نفسه ولايتشكل من الخارج ، والأشكال الأدبية لا توجد خارج الأدب.. إننا يجب أن نفكر فى القصيدة من حيث علاقتها بغيرها من القصائد ، من حيث إنها وحدة من الشعر، ولابد على النقد القادر على معالجة هذه الأمور أن يستند على تلك الناحية من الرمزية التى تربط القصائد بعضها ببعض ، وأن يختار ميدانا لعمليات تلك الرموز التى تربط القصائد بعضها ببعض، لذلك فالنقد لا أن يجاوز معالجة قصيدة ما بوصفها محاكاة ما للطبيعة، بل أن يتناول نظام الطبيعة ككل بوصفه نظاما حاكاه نظام مماثل من الكلمات))[٦١] .

إن فراى يربط بين النماذج العليا، والصور الشعرية النمطية المكررة، والتقاليد الأدبية المتوارثة فى ربقة واحدة، بما ينأى بالمنهج النقدى الأسطورى عن أن يكون

مجرد مطابقة بين النص الأسطورى والنص الأدبى، ومن هنا كان تصورنا المنهجى فى هذا البحث منصبا على معطيات التحليل البنيوى للنص الأدبى جامعا بين الاستقراء والاستدلال والتأويل، استقراء النصوص الشعرية التى تتركب معا فى ثوابت نمطيه تصويرية متعددة، بما يجعلها تشكل نموذجا شعريا مكتمل القسمات فنيا ومعرفيا، ويجب أن ينطلق هذا من ((رصد عناقيد الصور فى القصيدة الواحدة ومقارنتها بأنماط أوسع توجد فى أعمال شعرية أخرى أو فى أساطير))[٦٢] ، ومن خلال دراسة الصور الشعرية النمطية . بما يساعد على تخلق أسطورة محورية . فى النصوص محل البحث، سنحاول فتح هذه النصوص على التقاليد الجمالية المتوارثة من جهة، وألوان الخطابات الثقافية المتعددة المحيطة بهذه النصوص من جهة أخرى، إن التطابق التصويرى فى الصور النمطية المكررة بين النصوص المتعددة، لا يعنى الجمود والتكرار والتماثل، بقدر ما يمثل تنوعا جماليا من خلال نمط جمالي مهيمن، أو قل هى وحدة المتباينات الجمالية، إن النصوص الشعرية المعاصرة تنزح عن تقاليدها الجمالية المتوارثة لتحقق شروط إبداعها الخاصة بها من جهة، ولكى تحقق شعرية الأسطورة الخاصة بكل نص شعرى على حدة من جهة أخرى، يقول فراى ((إن لكل شاعر أساطيره الخاصة أو نطاقه الطيفى أو تشكيلة الرموز الخاصة به، والتى قد يكمن الكثير منها فى لا وعيه))[٦٣]،إن تكرار صور شعرية بعينها وهيمنتها على الخطاب الشعرى لدى كثير من الشعراء يجعلنا نرى الأمر أكبر وأوسع من مجرد التكرار والتشابه، حيث تتجاوز الصور هنا حدود الواقع الحضارى والجمالى المحيط بالشعر والشعراء وصولا لأنماط شعرية وشعورية مختزنة فى الوعى واللاوعى الشعرى الفردى والجماعى، ومستشرفا عالما جماليا بديلا، إن الشعر الذى يتكلم من خلال الأسطورة يتكلم بألف لسان وزمان ، إنه يتجاوز التاريخى إلى الأبدى، واليومى إلى الخالد .